صدام علمنا ان الجبهة الداخلية المدنية أخطر احيانا من الجبهة العسكرية

امريكا واسرائيل تخلصتا من البطل الرئيسي في الكابوس العراقي فلتتحضرا للكابوس الايراني

■ جزار بغداد ربح نهايته باستقامة. موت القبلة ليس واردا في الحسبان عن كل اخطاء صدام، الشخص صاحب الاموال المحولة للانتحاريين، الشخص الذي دمر شوارع رمات غان وذبح الأكراد واغتصب الكويت. ولكن على من لم يشعر بالأمس بالكآبة إن لم يكن وخزة خفيفة في الصدر، عندما رأى الحبل وهو يلتف حول رقبة صدام حسين أن ينهض.

لأننا نتميز بهذه الغرابة عندما يتعلق الامر بنهاية الاشخاص الذين أمدونا بالمواد الخام لكوابيسنا الأكثر تخويفا. نحن نريد الانتقام من جهة، ولكن الاعدام شنقا يوفر للمجرم امكانية المرور الخاطف من دون أن تكون هناك عملية محاسبة أمام الضحايا من جهة اخرى. نحن ملزمون من جهة بأن نراه وهو يدفع ثمن جرائمه، ولكننا نعرف من ناحية اخرى أن جباية الثمن الكامل عن هذه الجرائم ليست واردة. وكيفما قلبتم ذلك مشهد الانسان وهو معلق على حبل المشنقة هو على الدوام صورة تثقل صدور اغلبية المخلوقات.

عام 2006 أتاح المجال أمام طاغيتين للفرار من يد العدالة. ميلوسوفيتش الصربي وبينوشيه التشيلي ماتا في السرير تاركين آلاف الضحايا وهم يتعذبون. صدام لم يحظ بهذا الامتياز، وكم كنا سندفع لقراءة أفكاره في تلك اللحظات القليلة التي سار فيها من زنزانته الى غرفة الاعدام التي بدت وكأنها مأخوذة من فيلم بائس، تلك الغرفة في مقر الشرطة السرية التي رحل فيها الكثيرون من معارضيه عن العالم خلال عقود حكمه المدمرة الثلاثة.

عراقي يضرب مجسما من ورق لصدام حسين وهو على منصة الاعدام

يقولون ان فيلم حياتنا يمر في خيالنا في اللحظات الأخيرة، ولكن فيلم الرعب الصدامي طويل جدا، وهو يبدو مضطربا جدا في لحظاته الأخيرة عندما عرف أنه لن يحتفل بعيد الاضحى الأخير. الشخص الذي حرص جدا على لحظات ظهوره وهو يستبد بشعبه وجيرانه، وبعد ذلك خلال محاكماته، لم يحظ بالحصول على مشط لترتيب شواربه وشعر رأسه في اللحظة الحاسمة والأخيرة من حياته.

وما الذي كان لنا في هذا الفيلم المسمى صدام حسين؟ هذا بالنسبة لنا نحن الاسرائيليين، قبل كل شيء حرب الخليج الاولى، لانه هو الذي علمنا ان الجبهة الداخلية المدنية أخطر احيانا من الجبهة العسكرية. تلك الاسابيع من شتاء 1991 فعلت العجائب بنا، وأظهرت للأعداء المجال الذي يمكن قصفه من مدن اسرائيل والخروج من ذلك أحياء رغم ذلك.

وعندئذ جاءت الانتفاضة الثانية، وواصل صدام إرسال الموت الى مدن اسرائيل بصورة أكثر نجاعة من صواريخ سكاد التي أطلقها قبل ذلك. وبينما كنا نحصي موتانا كان هو يحصي شيكات بقيمة 25 ألف دولار امريكي مُرسلة لعائلة كل انتحاري فلسطيني.

ولكن هناك شيء ما أكثر ثقلا في يوم موت صدام، لأن الاشخاص من نوعيته يشكلون بالنسبة لنا رمزا للشر، وكل تلك النقطة في المحيط التي تنبع الكوارث منها والبلاء والكراهية. اذا استطعنا فقط إبادة مصدر الشر ذلك، كما نأمل، فان كل شيء سيتحسن. ولكن ما هو عدد الاشخاص منكم الذين سمعوا مؤخرا الحنين والاشتياق الذي عبر عنه محللون كثيرون للاستقرار اللعين الذي مثّله صدام؟ ذلك لانه في عالمنا، وبالتأكيد في منطقتنا، الشر لا يطيق الفراغ، ومكان كل كابوس ينتهي يأتي كابوس آخر أشد منه سوءا في بعض الاحيان.

الامريكيون وعدونا بأن العراق سيكون أفضل بكثير بعد رحيل الطاغية، وأن الديمقراطية ستشرق وتنير بضوئها ظلمات الشرق الاوسط كله. ولكن مئات الآلاف قُتلوا منذ غزو العراق، والطبقة الوسطى هربت الى المهاجر، وعدد شبان امريكا الذين زُهقت أرواحهم على ضفاف الفرات ودجلة أصبح مساويا لقائمة ضحايا عمليات القاعدة في الولايات المتحدة.

وفي عالمنا الذي فقد توازنه، وفي واقع حياتنا الذي تحول الى برنامج واقعي يُغرقنا من خلف الشاشات، كان من المنطقي أمس أن نسمع الادارة الامريكية والنظام الايراني وهما يُعبران عن الرضى بكلمات متقاربة تقريبا حول رحيل صدام.

اذا هذا هو الأمر. تخلصنا من البطل الرئيسي في الكابوس العراقي، وربما أعطانا ذلك شعورا معينا بالارتياح واغلاق الدائرة. عمتم مساء والى اللقاء في الكابوس الايراني.

اريك بخّر
كاتب في الصحيفة
(معاريف) 2006/12/31

على الجيش الاسرائيلي ان يتعلم من نصر الله وفنونه وخدعه خلال الحرب الأخيرة

■ لجان التحقيق العسكرية اللامتناهية أنهت عملها من خلال عقد مؤتمر جديد بيروقراطي وتوصيات بكلمات عالية. هكذا انتهت الحرب، وهكذا بدت ايضا. ولكن ما يحتاجه الجيش الاسرائيلي فعلا ليس المزيد من الامدادات اللوجستية أو القدرات الاستخبارية. الجيش الاسرائيلي يحتاج الى دهائه الذي تميز به ذات مرة، هو بحاجة الى الفلفل والى الرأس الآخر والى الجوع الذي نجح. هو بحاجة الى جرأة عيزر وايزمن الذي قصف طائرات الجيوش العربية وهي في مرابضها، أو رقصات رفائيل ايتان التي أنزلت الجنود خلف خطوط العدو (شمالي نهر الأولي في حرب لبنان الاولى). كانت لنا مثل هذه الشرارة الوقادة، ولكنها انطفأت. المزيد من اللجان والتوصيات لن تنفعنا شيئا.

كيف يمكن استعادة ذلك كله؟ تعلم فنون الحرب ومهاراتها وحيلها، وهذه أمور لا تأتي بصورة تلقائية وانما من خلال التعلم.

وفقا لدراسة أُجريت منذ مدة وجيزة يتضح ان اغلبية ضباط الجيش الاسرائيلي لا يملكون دراسة عسكرية رسمية عليا. أي أن قضية تفعيل القوات غير معروفة لهم بكل بساطة، والأهم من كل ذلك أنهم لا يعرفون تاريخ المعارك العسكرية.

أحد الكتب المحبوبة بالنسبة لي في هذا السياق هو كتاب «فنون الحرب» للمؤلف نيقولاي ميكيافيلي. ما هو عدد ضباط الجيش الاسرائيلي الذين سمعوا عن القتال؟ وما هو عدد الذين قرأوه منهم؟.

ميكيافيلي عاش بين السنوات 1469 و1527، ورغم ذلك يعتبر كتابه ملائما وعصريا تماما. لماذا؟ لأن العتاد المتطور والمدرعات المحكمة والصواريخ كذلك تغيرت، إلا أن الانسان بقي نفس الانسان.

القواعد التي يُعلمنا إياها ميكيافيلي لا تكلف فلساً، ومع ذلك تُعادل الذهب في قيمتها. اليكم بعض النماذج والامثلة: من يحرص على فهم نوايا وتركيبة العدو ويبذل جهوده لاعداد جيشه وزيادة انضباطه، سيكون أقل عُرضة للمخاطر، وأكثر توقعا للنجاح في المعركة. إياك أن تبدأ الحرب قبل ان تُعد جيشك وان تتأكد من أنه جاهز للقتال ويتمتع بمعنويات مرتفعة. اذا أردت ان تنجح خطتك، فعليك ان تخفيها عن العدو وان تنفذها بصورة مفاجئة. ليس هناك شيء أهم خلال الحرب من استغلال الفرصة عندما تسنح لك. الاشخاص الشجعان بالفطرة هم قلة، ولكن الانضباط الجيد والتجربة ستحول الكثير من الجنود الى مقاتلين شجعان.

من كانت قواته غير منظمة وهي تلاحق العدو سيفقد الميزة التي يتمتع بها على الاغلب، وفي نهاية المطاف سيتحول من مطارد الى طريد بنفسه. عليك ان تتصرف بصورة معاكسة لما يتوقعه العدو. اذا كنت تخشى من معرفة العدو لخططك عليك أن تغيرها. القادة الجيدون لن يدخلوا في الحرب أبدا إلا اذا كانت حاجة وضرورة مطلقة أو في فرصة لا تتكرر. إحذر خلال الحرب من إرسال قواتك في مهمة لا يعرفونها، وإلا فان النتيجة ستكون حالة من الفوضى والبلبلة وما الى ذلك. ميكيافيلي يُعلم فن الدهاء والتحايل ووسائل الاخفاء خلال الحرب.

الكتاب كُتب قبل مئات السنين، ولكن يتوجب ان يكون كتابا إلزاميا في الجيش الاسرائيلي الذي نسي كيف يتصرف الجيش بسبب كثرة المهمات البوليسية وشدة الخوف من محكمة العدل العليا ووسائل الاعلام و«بتسيلم» وغيرها من الهيئات والمنظمات التي شكّلت لتكبيل أياديه.

وإن لم تكن لدينا قوة للعودة الى التاريخ، فمن الممكن الاكتفاء بتحليل التحايل والدهاء والحرب النفسية ووسائل الاخفاء التي اتبعها حسن نصر الله في الحرب الأخيرة. ليس من العار ان نتعلم من العدو، وهذه ايضا قاعدة من قواعد ميكيافيلي.

غي باخور
كاتب مستشرق
(يديعوت احرونوت) 2007/1/4

نتائج الحرب اللبنانية تؤخر تغيير اولمرت للاتجاه في سياسته

شروط ضمان وجود اسرائيل ومساهمتها في استقرار المنطقة أساسها الاتفاق مع الدول الاسلامية السُنية بالالتفاف على الفلسطينيين ولكن ضمن حدود 1967

■ اثبت رئيس الوزراء أنه قادر على تغيير الاتجاه. ولكن الاجواء بعد حرب لبنان تؤخر الأمر. لا أحد يعرف اذا كان ممكنا الوصول الى تسوية مع العرب. ولكن، توجد بعض الشروط التي لا أمل في ذلك دونها.

الشرط الاول هو الاعتراف بأن فكرة طرد المصريين من غزة وحسين من الضفة والسيطرة على الشعب الفلسطيني كانت هدامة: حولت الرمز من السيادة للشعب اليهودي، الى محتلين لشعب آخر. الشرط الثاني هو الفهم، دون اعتذار، بأن المستوطنات لم تكن ولم يكن فيها اي بركة، وضررها هائل جدا: مشروع دهور الدولة نحو شفا فكرة ما قبل الدولة، دهورها نحو أفعال محظورة في الدولة؛ جعل الجيش الاسرائيلي شرطة وألحق قادة الجيش بجوقة ذات معايير من الكذب والغش للدولة والجيش. وفي حرب لبنان رأينا هذه المعايير. ولن نوسع في سلب الميزانيات من كل الاهداف التي تنمي الاقتصاد والمجتمع، نحو الاحتلال البغيض.

الشرط الثالث هو من المستوى الوجودي: ليس لاسرائيل ما يكفي من المقدرات للتوازن الاستراتيجي مع محيطها. وهي في امس الحاجة الى المساعدة من نفسها. لا توجد وجبات مجانية. ولقاء الدعم يجب على المرء ان يدفع الثمن. والثمن هو مساهمتنا في استقرار المنطقة. هذا ما يتوقع من قوة عظمى. هذا ما فعلناه حتى آب (اغسطس) 1967 ـ عندما طلبت حكومة اشكول من جونسون ان تسترجع الوثيقة التي وافقت فيها على اعادة المناطق مقابل السلام.

منذئذ، واسرائيل لا تساهم في الاستقرار. فترات التوقف الزمنية جلبت لنا صدام حسين في 1991 وبن لادن في 2001، الارهاب الذي دفع بوش الى التأييد الكامل لليمين الاسرائيلي وها هو الحساب يأتي وكل واحد يمكنه أن يلاحظ ما يُطلب من اسرائيل ان تدفعه من أجل مصالح الولايات المتحدة في المنطقة. اما اسرائيل التي لا تساهم في استقرار المنطقة، فتضعف الدعم اللازم لها.

الشرط الرابع هو الفهم بأن اسرائيل يمكنها أن تساهم في استقرار المنطقة ـ هذا اذا كان ذلك ممكنا ـ فقط من حدود عام 1967، المعترف بها من العالم ومن الدول العربية. وعندما مس حزب الله الحدود المعترف بها، أيده كل العالم.

شرط خامس: التكرار حتى الحفظ عن ظهر قلب بأن ما نفعله ونقوله يؤثر على افعال الطرف الاخر. هناك مراتب في الكراهية حتى الدوافع المتطرفة. والنزاع بين الدول مبني من مضاعفات القوة العسكرية على مستوى الدوافع. وتقليص الدوافع هو هدف حيوي.

شرط سادس هو ان نُدخل في المعادلة الى جانب أمريكا مراكز النفوذ الاخرى ـ الصين، روسيا، اوروبا والدول العربية السُنية. وقدرة اسرائيل على المناورة بين كل اولئك، الى جانب المصلحة الامريكية هي الفرصة لتحسين موقفنا.

الشرط السابع صعب على السياسيين ـ وهو أن يكونوا لينين في الحديث، ومتصلبين في الخطى. حسب السادات، 90 في المئة من النزاع هو نفسي. ماذا يحصل اذا ما قال رئيس الوزراء ان اسرائيل تفهم مأساة الشعب الفلسطيني؟ اذا مجد الزعماء الاسرائيليون الثقافة الاسلامية؟ اذا ذكروا اننا عشنا خلال 1300 سنة بين ظهرانيهم دون ملاحقات ومذابح وما شابه؟ وبالمقابل، الشرط الثامن: ان يرتبط كل اتفاق بعملية متصلبة من التأكد بأن الواقع يتناسب والاتفاقات. هذا مهم ايضا من ناحية السياسة الداخلية. يجب أن يسود اتفاق بين اليسار وبين اليمين: اليسار يمسك الدفة لتحديد الاتجاه، واليمين يسيطر على دواسة الوقود، كي يحدد وتيرة التقدم.

اذا كان رئيس الوزراء مستعدا لان يتنازل عن 90 في المئة من المناطق، فلماذا لا يقول ان اسرائيل مستعدة لتسوية على أساس خطوط 1967، مع تعديلات متبادلة وترتيبات أمنية؟ مثل هذا التصريح سيتيح دمج المصالح مع حكومات الدول السُنية، المذعورة من الاسلام بقدر لا يقل عنا. وهكذا يساعد في شيء ما حكوماتهم والالتفاف على الفلسطينيين، الذين لا أحد يعرف ما اذا كان ممكنا التوصل معهم الى اتفاق.

تسفي ي. كاسا
كاتب في الصحيفة
(معاريف) 2007/1/4

الناس في المنازل ضحية للقمامة التي تُبث من خلالها

النزعة التجارية التي تهيمن على الاعلام تحولها الى وسائل بائسة ضحلة وخالية من المضمون

■ في يوم الاحد مساء اتضح لي أنني اعتذرت أمام جاكو أيزنبرغ. القناة الاسرائيلية الفضائية أعلنت عن هذا الاعتذار خلال ساعات المساء كلها، ورغم البرامج الكثيرة المتزاحمة في ختام هذه السنة. «اعتذار أول (!) من الصحافي بن كاسبيت لجاكو»، أعلنت هذه الوسائل الاعلامية بابتهاج وانفعال. انه لخبر هام فعلا. بعد ذلك بدأ البرنامج، وخلال الدقائق التسع الاولى منه تم التمهيد لاعتذاري بصورة دراماتيكية ثلاث مرات متلاحقة. وعندئذ جاء الأمر الحقيقي. الاعتذار. إلا أنه لم يكن هناك. بالمرة لا. لماذا؟ لأنني لم أعتذر أبدا، وهذا الأمر لم يحدث بالمرة.

قبل ذلك بأيام اتصل محرر البرنامج واسمه أفيرام بوخريس، وقدّم لي نفسه بصورة لطيفة طالبا اجراء مقابلة معي خلال برنامجه «اختتام السنة من خلال التسلية» حول «قضية جاكو» التي كان لي فيها إسهام معين. بعد ذلك أكدت المحققة الميدانية أن الامور لم تخرج عن سياقها، وأنهم «لا يفعلون أمورا كهذه عندهم»، وعندئذ جاء طاقم التصوير وجلست مذيعة مؤدبة على المقعد في الصالون وسألت الاسئلة وأصغت.

الاعتذار كما أسلفت لم يكن هناك. بل على العكس. بعد أن أوضحت ما الذي دفعني لكتابة رأيي حول ما قاله جاكو وأوضحت سبب كسبه لهذه المقالة باستقامة، أكدت أنه لم تكن لدي أو لدى «معاريف» أية نية للقضاء على جاكو، وأن رد الفعل الشعبي على المقالة فاجأنا من حيث شدته. هم نجحوا في تركيب فسيفساء من بضع كلمات من هنا وجملة من هناك بصورة عشوائية غير مرتبة وأطلقوا على ذلك اسم «الاعتذار»، ثم قاموا ببثه. بالمناسبة، البرنامج نفسه كان نموذجا للضحالة. «من نجح في الدخول الى القائمة النهائية لشخصيات هذه السنة في التسلية، ومن وجد نفسه خارجها؟»، صرخ المذيعون بحماسة وثرثروا بفقرات وكلمات بائسة. بينما كان العالم كله يقطع أنفاسه. وبذلك حصلنا على القائمة النهائية التالية: بريس هلتون في المرتبة العاشرة، وبعدها آسي ديان ومن ثم مايا بوسكيلا فماري بوهدانه ومن ثم بورات فأطفال انجيلينا جولي وتوم كروز، فجاكو أيزنبرغ الذي جاء في المرتبة الرابعة (!) فبار رفائيلي في المرتبة الثالثة ونينات في المرتبة الثانية. فمن الذي جاء في المرتبة الاولى حسب القائمة؟ لحظة، سنحتفظ بذلك للنهاية حتى تبقوا متوترين ومنفعلين.

من الذي قام باعداد هذه القائمة السخيفة؟ من الذي قررها ومن الذي صوت؟ يبدو أنهم نفس الاشخاص الذين قرروا أنني قد اعتذرت أمام جاكو. اذا كيف حدث ذلك؟ الحقائق أمامكم. هذا أمر يمكن أن يحدث لأن كل شيء قابل للحدوث عندنا. إلا أن توضيحا قصيرا يمكن أن يوضح ويفسر كل شيء. وفي الواقع تبين أن جوقة عائلة يرديني التي أسستها تامير يرديني هي المسؤولة عن البرنامج، وهي التي كانت مسؤولة ايضا عن برنامج «نجم يولد» المسؤول عن عدد غير قليل من برامج التسلية والترفيه مثل «أغنيتنا» و«ولد للرقص» وغيرها من أكياس الترف الثقافي. أبيرام بوخريس، مُعد البرنامج، متزوج من ليلي يرديني بوخريس التي تُنتج البرنامج وابنة تامير يرديني تلك من الفصل السابق، وهكذا يتبين لنا أن كل أبناء اسرائيل أحباء واصدقاء.

ما حدث في الصيف الأخير هو ان الدجاجة الدورية التي يفترض بها ان تبيض بيضا ذهبيا للسيدة يرديني، وهو السيد جاكو، قد ذُبحت وهي في المهد. ما العمل؟ يقومون بمحاولة يائسة لإحيائها. من دون وجل أو تكليف ومن دون علاقة بالواقع حتى. بالمناسبة، هم اختاروا «فنانو اسرائيل» الذين تطوعوا في الصيف الأخير لصالح اطفال الشمال لقائمة السنة التي أعدوها، والاختيار كان متزامنا مع التقاط الصور. ومن الذي كان هناك؟ نينات طيب وشيري ميمون وران دنكنر ورونا لي شمعون وتسادي تسرفاتي وتسفيكا هدار وماياً وروتمان وهرئيل سكاعت وغيرهم من اعضاء الجوقة. كلهم انضموا الى ماكينة العلاقات العامة الضحلة والنقود السريعة، ذلك التنين الاعلامي ـ الثقافي الذي يُدعى «تيدي للانتاج» التي تملكها السيدة تامير يرديني. هذا التنين الذي يرقص على حسابنا كل الطريق الى البنك. هؤلاء هم «فنانو اسرائيل». كل ما تبقى (آرتسي؟ آينشتاين؟ اهود بناي؟ يهوديت رابيتس؟) ليسوا موجودين تقريبا. كل شيء يبدأ عند نينات وينتهي عند جاكو. المذيعون يجترون الكلمات ويستخلصون ان «عام 2007 يعتبر عام عودة جاكو الكبرى الى الصورة». أي صورة. يبدو أنهم يقصدون صورتهم هم. المشكلة هي أن صورتهم هم هي صورتنا نحن. من المناظر التي تظهر فيها ينظرون ومن خلالها تنعكس صورتنا نحن.

اذا هذا هو الاعتذار رغم كل شيء: انني أعتذر لكل من اضطر لمشاهدة هذا العمل البائس. أعتذر لكل المشاهدين الذين يعتبرون هذا البرنامج برنامج التسلية المركزي بالنسبة لهم. أعتذر من كل الشبان والشابات، والاولاد والبنات، والآباء والأمهات، والأجداد والجدات. عفوا، بالفعل عفوا، من هذه الدائرة البلهاء التي تحولت الى مسيرة حماقة فارغة خاوية بالنسبة لنا. المسؤولية عن ذلك هي بالمناسبة مسؤوليتنا نحن.

بن كاسبيت
كاتب رئيسي في الصحيفة
(معاريف) 2007/1/4

اسرائيل وقادتها استخفوا بصواريخ القسام وبالكاتيوشا التي تحولت الى سلاح استراتيجي يتوجب توفير رد عسكري وسياسي عليه

■ من الأجدر ان نُسمي عام 2006 بـ «عام الصاروخ». السنة التي أملى فيها اطلاق الصواريخ على الاراضي الاسرائيلية من قطاع غزة ومن لبنان أكثر من أي عامل آخر السياسة الخارجية والأمنية الاسرائيلية. الكاتيوشا التي أطلقها حزب الله والقسام التي أطلقها الفلسطينيون أثرت أكثر من تبدل القيادة في القدس، ومن تعزز قوة ايران.

سديروت ومحيطها تلقوا في السنة الماضية أكثر من ألف صاروخ قسام من غزة، وإبان الحرب أُطلقت على المناطق الشمالية في الدولة 4 آلاف صاروخ. الخسائر والأضرار كانت صغيرة بالمقارنة مع تلك التي لحقت بنا في الحروب الماضية وفي العمليات الانتحارية. ولكن الصواريخ جرّت اسرائيل الى تمديد فترة القتال في لبنان وأقنعت رئيس الحكومة اهود اولمرت واغلبية الجمهور أن الانسحاب من مناطق اخرى في الضفة الغربية وفي الجولان خطير.

اولمرت دفن خطة الانطواء التي كان قد طرحها لسبب واضح: بامكان اسرائيل ان تتعايش مع سقوط الصواريخ على سديروت، وكذلك مع الصواريخ في الشمال لفترة محدودة، ولكنها ستجد صعوبة في تحمل صواريخ القسام التي تسقط على القدس وتل ابيب. كان من الممكن اغلاق الميناء والمصافي في حيفا لمدة شهر لوجود منشآت بديلة في أسدود، ولكن ليس هناك بديل لمطار بن غوريون ولا لمقرات الحكم والتجارة والثقافة في غوش دان والقدس. لذلك يصعب الحديث عن انسحاب ملموس في الضفة يؤدي الى سحب الجيش الاسرائيلي من المناطق المطلة والاستراتيجية قبل ايجاد حل لصواريخ القسام.

المؤسسة السياسية والأمنية في اسرائيل اخطأت في فهم المغزى الاستراتيجي للصواريخ. استخفوا بها وأسموها «أشياء متطايرة» وكأنها خُردة من خردوات العصابات. من الصعب أن يتأثر الانسان كثيرا من مأسورة فولاذية مملوءة بالسكر وبعض المواد المحترقة المندفعة بالمقارنة مع السلاح المتطور الموجود في الترسانة الاسرائيلية. ما هي كل هذه الاسلحة بالمقارنة مع طائرة أف 16 ومروحية الأباتشي والقنابل الذكية التي يملكها الجيش الاسرائيلي؟ ولكن قوة القسام لا تنبع من تكنولوجيته وانما من الجمع بين الاطلاق المكثف وانعدام وجود اسلحة مضادة فعالة لدى الطرف الآخر. عمليات القصف والاغتيالات في قطاع غزة ووقف اطلاق النار كذلك لم توقف اطلاق الصواريخ.

القسام الاول أصاب اسرائيل في الثاني والعشرين من شباط (فبراير) 2002. خمس سنوات مضت منذئذ كان بالامكان خلالها تحسين وتطوير التحصين والحماية في التجمعات السكانية الموجودة في غلاف غزة، وتطوير نظام لاعتراض الصواريخ. حسب رأي الخبراء من الممكن خلال عامين تطوير اول منظومة دفاعية ضد القسام أو الليزر. المنظومة لن تغطي اسرائيل كلها بمظلة دفاعية مُحكمة، ولكنها ستقلص الاصابات والأضرار. ولكن قادة الجيش ووزارة الدفاع اعتبروا ذلك إهدارا للمال.

انعدام الاحساس العسكري يبدو غريبا في وقت لاحق. أولا، التهديد كان معروفا ـ اسرائيل هوجمت في الماضي بالكاتيوشا في الجليل وفي بيسان. ثانيا، الجيش الاسرائيلي حذّر من وجود آلاف الصواريخ لدى حزب الله، ولكنه طور ردا فقط على الصواريخ بعيدة المدى وأهمل صواريخ الكاتيوشا الأقل مدى. ثالثا، في الجيش أدركوا أن «الوعي» هو الذي يحسم الحروب وليس عدد القتلى وعدد القذائف التي أُطلقت. هذه الاستخلاصات لم تُترجم الى عملية بحث عن رد ملائم لصواريخ القسام.

خلال المداولات الأخيرة التي أجراها اريئيل شارون قبل ساعات من انهياره، ضرب على الطاولة وطالب جهاز الدفاع بطرح أفكار جديدة لمواجهة صواريخ القسام قائلا ان هذا الوضع لا يمكن أن يتواصل على هذا النحو، قالها صارخا. وزير الدفاع عمير بيرتس حذّر، وكان مُحقا، بأن هذا الصاروخ البدائي سيتحول الى تهديد استراتيجي، وأنه بانتظار توصيات الجيش حول المنظومة الدفاعية. اولمرت ايضا أجرى مداولات حول هذه القضية.

اولمرت وبيرتس ملزمان بوضع تهديد الصواريخ في مستوى عال والبحث عن رد متنوع، عسكري وسياسي، عليه. الرد يجب أن يسعى لانقاذ سديروت وعسقلان وكذلك لاعادة حرية الحركة السياسية للحكومة. من دون هذا الرد سيجد رئيس الوزراء صعوبة في تجسيد وعده بترسيم حدود ديمغرافية جديدة لاسرائيل وإنزال المستوطنين عن قمم الجبال.

الوف بن
كاتب في الصحيفة
(هآرتس) 2007/1/4

الفساد في اسرائيل يرتفع درجة ليقترب من الجريمة المنظمة

■ دون ان نهين الفاسدين الاسرائيليين على مدى أجيالهم، من الممكن القول بأننا نقف اليوم أمام قفزة درجة. على شفا التقدم ـ أو ربما التدهور ـ في مسار منزلق. وبالطبع كل شيء ظاهر، ويجب اثبات الشبهات. ومع ذلك، فان المسار الذي ينكشف يبرر استخدام كل أدوات المفاضلة اللغوية، بما في ذلك الهزة الارضية.

للفساد الاسرائيلي تقاليد وأنماط استمدت من البلدة اليهودية وجرى تبنيها بالاساليب المعروفة لحزب مباي، توزيع المقدرات العامة على المقربين، والمتفرغين السياسيين. مركز مباي خلّف هذه الشهية ليرثها مركز الليكود الذي قرر اصلاح الظلم التاريخي: الان حان دورنا لتبذير الخدمات والصناديق العامة، يقولون هناك. وفي صالحهم يُقال انهم حتى أعلنوا عن ذلك بالفم المليء، بعزة التماسك الجماعي. فمن المؤتمر الذي تحدثت فيه ليمور لفنات عن الوظائف وحتى نشرة الوظائف من اصدار تساحي هنغبي. ذات مرة على الاقل كان هناك خجل. أما الان فقد اختفى هذا.

لقد كان لهذا الفساد بعد حزبي ـ عشائري. فقد عزز السياسيون المتفرغون من مركز الحزب ومن اصحاب رؤوس الاموال، وتعهدوا لهم. ولكن الفساد بقي اساسا على مستوى الخلطات. هنا يقص كوبون، وهناك تعقد صفقة. فساد موضعي. اما القفزة التي نشهدها الان فتنشأ عن ميل جديد نسبيا: محاولة للسيطرة على سلطات فرض القانون. ولهذا الميل آثار خلفها تاريخ الفساد الاسرائيلي، رغم أنها لم تنضج لتصبح ملفات جنائية. الحالة البارزة كانت قضية بار أون ـ حبرون (الخليل): تعيين مستشار قانوني للحكومة يكون مريحا للسلطة. والجماعة التي عملت على تعيين المستشار اكتشفت حتى مع الاشتباه بالتأثير على تعيين قضاة من خلال نائب في الكنيست من أعضاء اللجنة لانتخاب القضاة.

كما أن تعيين ميني مزوز مستشارا قانونيا اعتبر تعيينا مريحا ومرغوبا فيه من السلطة ـ كمن يؤيد فرضا للقانون الاداري ـ الانضباطي ـ المدني، كمن سيكنس من وزارة العدل «المتزمتين» من إرث عدنا اربيل ونافا بنئور. وبالفعل، فمع تسلمه المنصب أغلق ملفات اريئيل شارون، ايهود اولمرت وروبي ريفلين. مزوز اليوم، خلافا لمزوز اياه، يستخدم مرة اخرى الادوات الجنائية بكامل القوة. وبالمناسبة، قضية بوروبسكي أيضا، مساعد المراقب في مكافحة الفساد، تكشف النقاب عن اشتباه بصفقة مشابهة لتعيين مفتش عام للشرطة مريح للسلطة.

الارتفاع في الدرجة في القضية الحالية يلمح بامكانية مفزعة تدمج بين النمطين السابقين: تعيين مقربين وتعيين إمعات في نفس الوقت. التسلل الى المستوى المهني الميداني وكذا الى مستوى القيادة واتخاذ القرارات. محاولة للسيطرة على الجنرالات وعلى الجنود في نفس الوقت. السيطرة على سلطة فرض القانون التي هي من أقوى السلطات في الدولة.

ومرة اخرى، ينبغي الحذر من استخلاص الاستنتاجات حتى تتضح الصورة، وبالاساس حتى يتضح حجمها، ولكن من الصعب تجاهل خطورة النمط الذي اكتشف. فالحديث يدور عن نمط يقترب بالتأكيد من قصص الجريمة المنظمة، قصص حتى فاسدو اسرائيل على أجيالهم لم يشاهدوها الا في الافلام.

موشيه غورالي
كاتب في الصحيفة
(معاريف) 2007/1/4

القيادة العسكرية تحذو حذو القيادة السياسية وترفض اخلاء مواقعها بسبب أخطائها خلال الحرب الأخيرة

■ حوالي ستمئة ضابط كبير أُصيبوا بالخرس هذا الاسبوع. جلسوا في مؤتمر القيادة العامة العليا ساعات طويلة وسمعوا استخلاصات لعمليات التحقيق التي «لم يكن لها مثيل في حجمها في تاريخ الجيش الاسرائيلي».

ولم يقم أحد منهم ليسأل: لماذا لم يُدع جنرالات الاحتياط الذين أجروا عمليات التحقيق ـ باستثناء دان شومرون الذي كانت توصياته ايجابية بصدد رئيس هيئة الاركان ـ لطرح نتائج تحقيقاتهم؟ والاسوأ من ذلك: لماذا لم يتم استدعاؤهم حتى كمستمعين؟ هل خشي رئيس هيئة الاركان من أن يشيروا الى اعضاء هيئة الاركان العامة وأن يدعوهم علانية الى استخلاص العبرة الوحيدة التي يتوجب على الضابط الذي يحترم نفسه ان يستنتجها من اخفاقاته: الاستقالة؟.

من المفهوم ان أحدا ايضا لم يسأل عن سبب عدم اعتقاد رئيس هيئة الاركان ولو بسبب النموذج الشخصي ان التصريح حول تحمل المسؤولية ليس مجرد كلام خطابي فقط، وانما تستتبعه خطوة عملية. الجميع يذكر أن دان حلوتس اعترف بأنه اخطأ عندما لم يستدع فرق الاحتياط في الوقت الملائم، وان الجيش قد فقد قدرته الردعية بسبب نتائج الحرب. حقيقة أن أحدا من الضباط الذين شاركوا في ذلك المؤتمر، والذين سيصبحون في المستقبل جنرالات وأعلى من ذلك مرتبة، لم ينهض ليقول الامور التي تُثقل بال كل مواطن في اسرائيل، مثيرة للقلق بدرجة لا تقل عن الازمة الاخلاقية الناجمة عن الفشل القيادي والمهني الذي تفشى في القيادة العسكرية العليا. من سمع ما قاله بعض اولئك الصامتين في اوضاع خاصة يمتلىء خشية مما قد يحدث اذا اندلعت حرب اخرى. قادة الفرق كلهم فاشلون في نظرهم، وقيادة المنطقة الشمالية لم تؤد دورها كما يجب، ولا قيادة سلاح الجو ولا هيئة الاركان حتى. استكمال الاستعداد للحرب التي قد تندلع بسبب ضعفنا في هذه الحرب يستوجب استبدال القيادة، حسب ما قالوا.

ومن الذي سيحل محل الفاشلين؟ الاشخاص الذين لا يجرؤون على إسماع انتقاداتهم المهنية حول الطريقة التي أُديرت بها الحرب. هؤلاء الاشخاص الذين يواصلون السير خلف قادة لا يثقون بهم، وليسوا ملائمين حسب وجهة نظرهم من الناحية المهنية أو الاخلاقية.

اشخاص كهؤلاء الذين يستسلمون بهذه الطريقة الخانعة لطرق التزييف والتغطية والموارية التي يقوم رئيس هيئة الاركان من خلالها بتغطية وتلفيق التحقيقات، رغم ان الأمر يتعلق حسب قولهم بمستقبل الدولة. الفاشلون الذين سيصلون عندما يحين دورهم الى قمة الهرم العسكري لن يكونوا مختلفين عن رئيس هيئة الاركان وغيره.

ولكن دعنا من التذمر والشكوى من الضباط. هم كما نعلم جزء من لحمنا ودمنا، وجزء من صورتنا. رغم ان الجمهور كله قد جزع من نتائج الحرب، إلا أنه لم يستجمع قواه للنهوض والقيام بخطوة ما ولو حتى صغيرة لتخليص نفسه من الوحل.

على سبيل المثال التجمع في حديقة الورود عندما وجّه جنود الاحتياط الدعوة لذلك، لو ان عشرات الآلاف، وليس بضع عشرات، كانوا قد تظاهروا بصورة متواصلة وحازمة مطالبين باستقالة المسؤولين عن الاخفاقات، لكانت الدولة والجيش الآن في ذروة التغيرات الشاملة المطلوبة بسبب جسامة الحدث. التغيرات بحد ذاتها كانت ستدفع معنويات الشعب، ولشعرنا أننا قد تغلبنا على الازمة وأننا استعدنا السيطرة على الوضع. وعندما لم نتصرف وفق هذه الطريقة، ما زلنا ضحية لمناورات وحيل اولئك السياسيين الفاشلين. والاسوأ من ذلك: (ايضا) على يد القيادة العسكرية التي فشلت وما زالت محافظة على بقائها بفضل اتباعها لنفس الطريقة التي تتبعها القيادة السياسية في البقاء.

في حرب يهوشع قام أعداؤه الذين كانوا قلة قليلة بالتغلب على الاغلبية، والسبب هو ان شعب اسرائيل اخطأ ولم يتبع التعليمات والمقاطعة.

مقاطعة ايامنا أشد خطورة من المقاطعة التي لم يلتزم بها آباؤنا في عهد يهوشع. هم يقومون بنهب الخزينة القومية وليس العدو. تبعات هذه المقاطعة وصلت على ما يظهر الى الشرائح السليمة والحيوية في الجيش بفضل النتائج العسكرية والاخلاقية المترتبة على حرب لبنان.

لذلك يستدعي الخروج من الازمة اتباع وسائل أشبه بالوسائل التوراتية: القضاء على الفساد الشخصي والشعبي بكل أشكاله وصوره حتى لا يقضي هو علينا.

يسرائيل هرئيل
كاتب يميني ومُنظر المستوطنين
(هآرتس) 2007/1/4